توظيف الأفلام الوثائقية في السينما الجزائرية فجر المعذبين أنموذجا

Employment of documentaries in the Algerian cinema, the dawn of the tortured as a model

علوش عبد الرحمن *

جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، allouabde1983@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/04/23	تاريخ القبول: 2023/06/17	تاريخ النشر: 2023/06/26

ملخص:

تناولت في هذه الدراسة جانبا مهما من التاريخ الثوري، والذي يعتبر بدوره ذاكرة الشعب الجماعية التي تحمل في طياتها مقاوماتها وتضحياتها، وهذا ما ينطبق عن الجزائر، وعن باقي الدول الإفريقية التي قاسمتنا نفس المعاناة، وهذا ما نراه في الأرشيف السينمائي من خلال الأفلام الوثائقية الحية التي نقلت لنا التاريخ والحقيقة المرة مباشرة من مسرح الجريمة التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري، والذي اعتمد عليها المخرجين، فالسينما هي أفضل وسيلة للمحافظة على أحداث ووقائع ثورية والتاريخ الثوري، فالهدف من هذه الدراسة هو إبراز أهم الأحداث الدامية والانتهاكات التي وقعت في حق الشعب الجزائري التي وظفت في السينما الثورية الجزائرية، كأحد أهم المواد التي اعتمد عليها المخرجون الجزائريون في المحافظة على الدلائل التي تدين المستعمر الفرنسي الغاشم الذي أباد نصف الشعب الجزائري، أين عبرت السينما عن قضايا ثقيلة، والتي بدورها جعلت الرأي العام والمجتمع الدولي يشعر ويعيش تلك الأحداث عبر السينما مع معرفة حقيقة ما جرى في تلك الحقبة الزمنية، وكنموذج على ذلك قمنا بدراسة فيلم فجر المعذبين كنموذج من النماذج الجزائرية التي تكشف لنا ما قام به المستعمر الفرنسي من جرائم في الجزائر؟

كلمات مفتاحية: الفيلم السينمائي، الفيلم الوثائقي، الثورة التحريرية، الكولونيالية، الدعاية الإعلامية.

Abstract:

In this study, I dealt with an important aspect of the revolutionary history, which in turn is considered the collective memory of the people that carries with it their resistances and sacrifices. History and the bitter truth were conveyed to us directly from the scene of the crime that was committed against the Algerian people, on which the directors relied. Cinema is the best way to preserve revolutionary events and facts and revolutionary history. It was employed in the Algerian revolutionary cinema, as one of the most important materials that Algerian directors relied on in preserving the evidence that condemns the brutal French colonialism that exterminated half of the Algerian people, where the cinema expressed heavy issues, which in turn made public opinion and the international community feel and live those events through cinema with Knowing the truth about what happened in that time period, and as an example of that, we studied the movie Dawn of the Tortured as one of the Algerian models that reveal to us the crimes committed by the French colonialists in Algeria?

Keywords: The cinematic film, the documentary film, the Algerian revolution, colonialism, Media advertising

مقدمـة:

تعد السينما أحد أهم الوسائل النضالية التي اعتمد عليها أثناء الثورية التحريرية، نظرا لما تناولته من أحداث مهمة عن القضية الوطنية وعن ثورة التحرير المجيدة والأحداث الدامية من معارك واعتداءات على المواطنين من قتل وتشريد وتهجير وغيرها من الاعتداءات في حقهم بوجهات نظر مختلفة وبصور وفيديوهات حقيقية موثقة لما جرى في ذلك الوقت، تسعى من خلالها إلى توضيح الأمر وإظهار الحقيقة التي كان يطمسها المستعمر، فكانت ترد عليه كل محاولات تزييف الواقع من خلال عرضها لأفلام وثائقية حقيقية على الأوضاع التي كانت تعيشها الشعوب الإفريقية وغيرها من الشعوب المستعمرة والانتهاكات المستمرة في حقهم، ومجدت الثورة التحريرية الجزائرية والثورات الإفريقية وتغنت ببطولات الشعب الجزائري والشعوب الإفريقية من أجل استقلالها، فكانت السينما الجزائرية الثورية بمثابة الموثق الرئيسي للثورة المسلحة في الجزائر وفي الدول الإفريقية المستعمرة، وتضحيات شعوبها وكل الجيوش الخاصة بها التي كافحت من أجل الاستقلال وتحررت من الاستعمار والعبودية، والواقع الذي عاشه الشعب الجزائري والشعوب الإفريقية من ظلم وتهميش وقتل في حق المواطنين العزل وتهجيرهم وتجويعهم عن طريق حرق الممتلكات والمؤونة، وكذلك المواجهات الدامية مع العدو من أجل تحرير الوطن من المستعمر الغاشم، فأرشفت وقامت بتأريخ تلك الحوادث والمجازر في حق الشعب الجزائري والشعوب الإفريقية، وأظهرت النضال والدفاع عن الوطن ورفض الاستعمار المستبد من خلال الأفلام الثورية قبل وبعد الاستقلال.

1 توظيف الأفلام الوثائقية في السينما الثورية:

قامت السـينما الجزائرية بإنتاج عدة أفلام وثائقية ثورية، قبل وبعد الاسـتقلال، حيث عرفت في مجال الصـناعة السـينمائية تطورا ملحوظا، واكتسـب صـانعوها خبرة واسـعة في مجال الصـناعة السـينمائية، من خلال إنتاج أفلام وثائقية قصـيرة في مرحلتها البدائية، مرورا بمرحلة الأفلام المتوسـطة إلى بلوغها مرحلة إنتاج الأفلام الوثائقية الطويلة، ويرجع هذا التقدم في مجال السـينما، إلى مدى اهتمام العديد من السـينمائيين الأجانب، وكذلك إلى الخبرة التي اكتسـبها صـناع السـينما الجزائريين، من خلال احتكاكهم بالأجانب وتكوينهم في عدة بلدان في مجال السـينما، مما أكسـبهم خبرة فنية وسـينمائية خاصـة في مجال السـينما، والتي كانت محل اهتمام جميع الجزائريين. (بن عزوزي، 2017-2018)

وخاصـة هذا في مجال الدعاية الإعلامية والترويج لأحداث الثورة التحريرية، التي كان لابد منها في ذلك الوقت أو بعده، داخليا على مسـتوى الوطن أو خارجيا على مسـتوى العالم، وطني مثل الأحداث التي تقع داخل الوطن أو في الدول الإفريقية المسـتعمرة مثل تونس والمغرب وغانا وغيرها من الدول ولكن يتم عرضـها في الوطن، أما خارجيا يتم الدعاية لها خارج حدود الوطن وخارج الدول الإفريقية أو بالأحرى خارج المسـتعمرة

الإفريقية ، بل تعرض في دول العالم وفي مجلس الأمم المتحدة للتعريف بالقضايا الإفريقية وقضايا الاستعمار، فالشعب الجزائري كغيره من شعوب القارة الإفريقية لم يسلم من الظلم والطغيان الاعتداءات المتكررة في حقه، داخل الوطن وخارجه في مخيمات اللجوء وغيرها من الأماكن الخاضعة لسلطة الاستعمار، ففي الفيلم الوثائقي يكتب السيناريو بعد عملية التصوير، ويعتمد كاتب السيناريو على دراسة المادة الوثائقية المصورة للتعامل معها لغرض إنتاج الفيلم وفق ما تقتضيه هذه المادة، لأن التخطيط لصناعة الفيلم، لابد أن يرتكز على حقائق تاريخية مصورة ومكتوبة لتمنحه مصداقية وقرب أكثر للهدف المنشود، وكحجة مادية مقنعة، وخير دليل على ذلك ما تناولته السينما العالمية من أفلام وثائقية في الحرب العالمية الثانية التي اعتمدت على الوثائق لتحقيق الهدف وإظهار الحقائق وحفظها وهذا ما انتهجته السينما الجزائرية في أرشفت الحقائق والدعاية لها، وتأريخها من خلال حفظها في أفلام وثائقية حقيقية وقعت بالفعل، بغية تداولها عبر التاريخ وحفظها من الضياع وإظهار الحقائق المخفية عن الثورة الجزائرية والثورات الإفريقية . (بن عزوزي، 2017-2018)

ولإعطاء مصداقية أكثر للمادة المعروضة، وتحقيق الهدف، نجد صانعي الفيلم الوثائقي يلجؤون إلى عدة أشكال من المادة الوثائقية المحفوظة بعناية، بغية تجسيد الوقائع بحقيقتها، متمثلة في الأرشيف والأفلام الوثائقية القصيرة، والصور الفوتوغرافية التي تعد من ضمن العناصر الفنية للفيلم الوثائقي، إضافة إلى المقابلات الشخصية التي لها أهمية كبيرة في الفيلم الوثائقي كونها كانت حاضرة وشاهد على الوقائع والأحداث في ذلك الوقت، فالفيلم الوثائقي المصور أثناء وقوع الأحداث هو الذي يخدم موضوع الفيلم ويدعم فكرته، بحيث يراعي مخرج الفيلم والمؤلف المادة الفيلمية الموجودة عنده، ويقوم بتكييف الفيلم بحسبها، كونها من الدعائم التي يبنى عليها الفيلم الوثائقي والتي تكون بمثابة الهيكل العام للفيلم الوثائقي. (بن عزوزي، 2017-2018)

ومنه فإن صناع السينما اعتمدوا في أفلامهم الوثائقية على المادة المحفوظة في الأرشيف، مثل الصور الفوتوغرافية والأفلام الوثائقية القصيرة، بغية تجسيد أفلامهم والوصول إلى أهدافهم وأفكارهم عن طريق توظيفها في السينما الجزائرية.

2 الفيلم الثوري في السينما:

1.2 ماهية الفيلم السينمائي:

هو عبارة عن سلسلة من الصور الثابتة، والتي تنحصر كل صورة من الصور داخل إطار، قد نسخت فيه موضوع أو ظاهرة معينة على شريط الفيلم، وعند العرض السريع لهذه الصور على الشاشة، يرى المشاهد مناظر أمامه عند مشاهدته لشاشة السينما توهمه أنها صور حية حقيقية تجري أمامه. (عز الدين، 2010)

ولهذا فالفيلم السينمائي هو "فن بصري يعتمد على الصورة لتحقيق أهدافه وغاياته المطلوبة، كما أن للصور دورا نفسيا مهما بما تضيفه من واقعية ومصداقية، بالإضافة إلى ما تحمله من أفكار ومضامين التي تعبر عن موضوع الفيلم والأحداث والسياق الفيلمي ومن ثم يمكن تحقيق جذب انتباه وإثارة اهتمام أكبر عدد ممكن من الجمهور". (عز العرب، 2018)

فعند عرض الشريط على المشاهد يجد نفسه أمام مشهد قد توهمه من خلال تتابع مجموعة من الصور، قد تبدو له وهي تعرض الواحدة تلوى الأخرى دون انقطاع، كأنها مشاهد حقيقية تجرى أمامه، ما يجبره على الانتباه ومتابعة العرض حتى النهاية، ومن خلال عنصر التشويق الذي أثر فيه، وهذه المشاهد من خاصية الفيلم السينمائي الذي يتميز بها، كونه وسيلة من وسائل التعبير الفني البصري، يعرض على المشاهد صورا ثابتة، والتي بدورها توهم المشاهد بالحركة أثناء العرض، فيرى كل شيء يتحرك أمامه كما لو كان حقيقة. (شتيوي، 2008)

وبهذا يصل الفيلم إلى مهمته أو غايته التي تقتصر على إمتاع المشاهد، بمجموعة من الصور المتحركة التي توهم المشاهد على أنها حقيقة تقع أمامه، وبهذا الفيلم الذي يجذب المشاهد عبر مشاهد قد توهمها أمامه صنعت عبر تقنيات السينما انطلاقا من نص الفيلم.

وللفيلم السينمائي أنواع نجد على سبيل المثال الفيلم الوثائقي والذي يمتاز بخاصية المشاهد الحقيقية التي سجلت سلفا من أحداث واقعية أو إعادة تصوير أحداث واقعت في الماضي، كما هو الحال في الفيلم الوثائقي الثوري.

2.2 الفيلم الوثائقي الثوري:

هو ذلك الفيلم الذي يصور واقع الثورة التحريرية وحياة وممارسات جنود جيش التحرير الوطني، وكل المعارك التي يخوضونها ضد المستعمر الغاشم، بعفوية مطلقة بحيث يكون الفيلم الوثائقي قد" صور وتمت منتجته بأسلوب تلقائي غير مكتوب.... إن كلمة غير مكتوب فيما يتعلق بنوع من السينما، يعني أنه لم يصور وفق نص مكتوب قبل التصوير الرئيسي، كما أنها لا تعني غير مخطط له". (هامب، 2011)

يتضح لنا أن العديد من الأفلام الوثائقية لا تعتمد على سيناريو جاهز، وإنما تعتمد على خطة بسيطة لتكوين فكرة عن الموضوع، ومعظم الأحداث تصور مباشرة وأيضا يعتمد على الأفلام الوثائقية التي صورت من قبل والتي هي أرشيف مصور، يعني" أن الفيلم يمثل وثيقة عن المكان أو الحدث أو الشخص الذي يتناوله.... هو كافة أساليب التسجيل على فيلم، لأي مظهر للحقيقة، يعرض إما بوسائل التصوير المباشر، أو بإعادة بنائه بصدق". (نصار، 2007)

كالأفلام الوثائقية التي سجلت الواقع كما هو من خلال تصويرها للأحداث الحية بالصورة والصوت، بهدف تحقيق أهداف إعلامية أو تأريخية كتوثيق أحداث ثورية وحروب واعتداءات ضد الإنسانية عن طريق الصورة، بغية تعرية الأحداث، وإظهار الواقع الذي زيف من طرف المستعمر، أو حفظها للأجيال في أرشف مصور. (بن عزوزي، 2017-2018)

فنجد عدة أفلام تناولت الواقع كما هو وعلى رأسها فيلم فجر المعذبين والذي كان عبارة عن" وثيقة تاريخية لحقيقة الاستعمار ومآسيه في القارة الإفريقية بأكملها، وقد اعتمد فيه المخرج على الوثائق المصورة التي كانت بحوزة المؤسسات السينمائية الفرنسية". (أحمد بلية، 2011)

كخير دليل لتأريخ الأحداث والدعاية لها، كونها أحداث حية تحمل في كل صورة قصة مؤلمة عن واقع مر عاشته شعوب إفريقيا عامة والشعب الجزائري خاصة.

والفيلم الوثائقي يقتبس مادته من الطبيعة والوقائع والأحداث اليومية التي يتعرض إليها الإنسان، فهو تصوير أو إعادة التعبير عن كل ما عاشه الفرد في حياته اليومية، وتوثيقه لها وأرشفتها، وهذا ما يؤكد عليه صناع السينما، وما نراه في الأفلام الوثائقية الثورية الجزائرية التي وثقت وعرضت مجموعة من الوقائع من الجزائريين ومن عدة دول إفريقية، كانت مستعمرة من طرف فرنسا ودول أوروبية. (بن عزوزي، 2017-2018)

ومنه فإن الفيلم الوثائقي هو عمل فني يعتمد على التقاط الوثائق من الواقع ومعالجتها سينمائيا وجماليا، وتقديمها في شكل فيلم وثائقي، بعد أن تنظم تلك الوثائق والمقابلات والشهادات والأحداث المصورة من الواقع، بإضافة التعليق إليها وإبداء الرأي لتعطي لنا في الأخير فيلم وثائقي ثوري وكمثال على ذلك قمنا بدراسة لفيلم فجر المعذبين الذي وظف فيه الأرشيف الموثق والمصور.

3 البطاقة التقنية للفيلم:

العنوان: فجر المعذبين.

إخراج: أحمد راشدي

سيناريو: أحمد راشدي، روني فوتي، مولود معمري

نص: مولود معمري

النوع: وثائقي- تاريخي- طويل

الوقت: 75 د

إنتاج: المركز الوطني للسينما الجزائرية

السنة: 1965

البلد: الجزائر

1.3 ملخص الفيلم:

هو فيلم وثائقي ثوري طويل، هدفه وقائع ثورة التحرير الوطنية، والثورات الإفريقية ، ونضـــال الشـــعب الجزائري والشعوب الإفريقية ، من أجل الاستقلال، والدعاية الإعلامية ردا على طمس وتزييف الحقائق، من قبل الاســتعمار الفرنســي، معتمدا على الأفلام الوثائقية كوســيلة رد قوية على أي طمس للحقائق التاريخية وكحفظ للذاكرة الشعبية والتاريخ الوطني والثورة المجيدة فعبر عن بشاعة المستعمر الفرنسي والغربي، من خلال الوثائق المصـــورة إبان الحرب كمادة فيلمية وثائقية، نراها في الفيلم، متمثلة في القتل العشـــوائي للمواطنين العزل دون استثناء أحد، من النساء والأطفال، وعملية القتل كانت بالرصاص والقصف وحتى الحرق بالنار عن طريق آلة صنعت خصيصا للحرق فكان الجنود الفرنسيون يتفننون في حرق المواطنين العزل بهذه الآلة، وحرق البيوت وقتل أصحابها وتدمير كل ما تقع أعينهم عليه من ممتلكات ومحاصيل وحيوانات وغيرها بهدف التهجير والتجويع حتى الموت، وهذا ما يظهر لنا في الفيلم، الذي هو صورة حقيقية عن الواقع الشعب الجزائري والشعوب الإفريقية ، إبان الاستعمار الإفريقي، فكان المواطنين الجزائريين يتساقطون بالجملة جراء الجوع الذي كن يفتك بهم، فتراهم صرعى في الشوارع، ويحملون أكواما بسبب الجوع والقتل، وأظهر لنا أيضا اللباس الذي كان يلبسه المواطنين الجزائريين وغيرهم من شعوب القارة الإفريقية أنداك، لباس رث لا يصلح للبس، متسخ وبعض الأطفال دون لباس بينما خيرات البلدان الإفريقية ، تنهب وتنقل في سفن شحن إلى أروبا، فهذا الفيلم لم يظهر معاناة شعب فقط بل أظهر معاناة شـــعوب عديدة تعاني من نفس المشـــكل، كالجزائر وتونس والمغرب وغانا وغيرهم من الدول الإفريقية .)راشدي, 1965(

أين كانت فيها اعتداءات القتل والتهجير والاستغلال، سواء في الطاقة البشرية المتمثلة في المواطنين الذين كانوا يقومون بالأعمال الشـــاقة دون مقابل مادي ذا قيمة ترد عليهم حاجاتهم اليومية، أو في خيرات بلادهم التي كانت تهرب للخارج كالذهب والألماس والأحجار الكريمة، وعملية الشـــحن كانت موثقة في فيديوهات، وحتى الحديد الذي شـــيدت بيه أروبا وغيرها من البلدان أخذ من دول إفريقيا فكان الفيلم عبارة عن أداة وظفها المخرج تقوم بعدة وظائف متمثلة في الحفظ والإعلام والدعاية للقضـــية الوطنية والثورة التحريرية والثورات التي قامت بها البلدان الإفريقية نتيجة الظلم الذي تعرضـــوا له، كالقتل الجماعي للمواطنين ودفنهم أحياء وحتى الأطفال لم يسلموا من القتل، كما تم أيضا استغلال سكان إفريقيا وإقحامهم في حروب عالمية، لا تخصهم مرغمين ومكرهين عليها لا بإرادتهم، حيث أجبروا على نزع لباســـهم ولبس لباس غربي خاص بالعدو مختلف عن لباس العدو، وتدريبهم في معســكرات التدريب على حمل الســلاح والقتال، ثم ظفوا فيها كوقود لنار لا تعود عليهم بالفائدة بل

ذهب معظمهم بدون رجعة، مات من مات وعانى من بقي على قيد الحياة، ومن لم يذهب وطالب بالاستقلال الموعود عند النصر، من خلال تلك الحروب فأعدموا دون رحمة والتي نراها في الفيلم أين أعدم 45 وأربعون ألف شخص في قالمة وخراطة وغيرها من المدن الجزائرية المطالبين بالاستقلال، وبقيت الحالة على حالها، نهب خيرات الدول الإفريقية ، واستغلال مواطنيها بالعمل الشاق في نقل تلك الخيرات واستخراجها من باطن الأرض، وتشييد الطرق لنقل البضائع والجيوش والمعدات بوسائل بسيطة بدائية، جعلت من تلك الشعوب خدم لها.)راشدي, 1965(

قد أظهر الفيلم كل المعاناة التي عاشتها شعوب إفريقيا، عبر بثه حقائق واقعية حلقت في سماء العالمية ووثقت في سجلات الإجرام في حق الشعوب الإفريقية من طرف فرنسا والدول الغربية المعتدية.

2.3 فضح المستعمر عن طريق فيديوهات موثقة:

حاول الفيلم الوثائقي فجر المعذبين فضح المستعمر خارجيا من خلال تطرقه عبر الكاميرا في مجموعة من الفيديوهات الموثقة على المباشر، التي حملت في موضوعاتها معاناة الشعوب الإفريقية ، ومدى الظلم والاضطهاد التي تعاني منه من طرف المستعمر، وتمثل ذلك في حرمانها من أبسط حقوقها، وجعلها عبدا لدى المستوطن الغربي الذي أصبح سيدا للأراضي ومالكها، كما تطرق الفيلم إلى السياسة العسكرية التي انتهجتها فرنسا والدول الغربية قبيل الثورة وأثنائها، والمتمثلة في القتل والتعذيب واستعمال سياسة التجويع والتشريد والتهجير والنفي ودفعهم في الحروب التي لا تعنيهم مرغمين لا بإرادتهم.)راشدي, 1965(

فإن الممارسات اللاإنسانية التي مورست من طرف الدول الغربية وفرنسا التي كانت بدورها تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان في تلك الفترة، الأمر الذي جعل من الشعوب الإفريقية المقهورة والمقموعة، ذاتا مدركة لحقيقة الاستعمار وأهدافه العدوانية والشيطانية.

وما كان للعالم أن يطلع على هذه الحقائق لولا كميرا المساندين لقضية تحرر الشعوب من الاستعمار والمجاهدين الذي حملوا الكاميرا ووثقوا القتل والأعمال العدائية ضد الشعوب، التي أثبتت بأنها لا تقل أهمية عن الكفاح المسلح، ونظرا للإنتاج المتكرر لتلك المظاهرات والأحداث والثورات التحررية أصبحت صورة المجتمعات الإفريقية معروفة عالميا، من خلال العرض المتكرر للأفلام الوثائقية وإظهار السياسة الاستبدادية والقمعية التي تعاملت بها فرنسا والدول الغربية ضد الشعوب العزل وهذا ما جعل الفيلم يكتسي طابعا إعلاميا يفضح فيه الأساليب غير الإنسانية، ويفند من جانب آخر الادعاءات التي كانت تعرضها فرنسا وحلفائها عبر شاشاتهم التلفزيونية والسينمائية، كما يعد الفيلم إنجازا وتحديا إعلاميا جديدا، دعم بفضل صوره الوثائقية الأساسية القضية الجزائرية والقضايا الإفريقية وفضح العدو الذي كان يدعي بناء الدول ومساعدتها.)راشدي, 1965(

3.3 التعريف بقضية الجزائر والدول الإفريقية من خلال فيديوهات حقيقية:

إن تكن الفيديوهات التي في الفيلم وثائق مرئية لدى كل الشـــعوب، من خلال عرضـــها على القنوات التلفزيونية في أوربا الشرقية وعرض الأحداث الجزائرية خاصة والإفريقية عامة كما وقعت، لذلك فإن الإستراتيجية التي رسمت من طرف ساسة جبهة التحرير الوطني هو الدعاية الإعلامية من أجل التعريف بالقضية الجزائرية وقضايا الدول الإفريقية، محطمة بذلك كل القيود والحدود حاملة رسالة مفادها معاناة الشعوب الإفريقية من شدة الوجع الذي سببه المستعمرين.

ويأتي إظهار الفيلم في سياقه السياسي والإعلامي، ليوضح سياسة المستعمر، وتنكيله بالمواطنين العزل، كما عملت تلك الفيديوهات الموثقة في الفيلم أيضا في خطابها السينمائي على فضح المستعمر وإظهار الحقيقة التي كانت تعاني منها الشعوب المستعمرة.

وبما أن السينما تعمل في خطابها على اللغة البصرية، جاء اختيارها من طرف الثوار مناسبا لتسهل بذلك مهمة السياسيين والصحفيين للوصول إلى مبتغاهم بطريقة أسهل وأشمل، كما تعد في الوقت نفسه أفضل وسيلة لتوصيل الرسالة خارجيا، وذلك من خلال تجسيدها للأحداث بكل ما تحمله من متناقضات عن طريق الصورة والصوت التي نراها في الفيلم.)راشدي, 1965(

وقد عمد صناع السينما الثورية على نقل تلك الأحداث والوقائع مباشرة من قلب المعركة، دون تحريف أو تزييف، مستغنين بذلك عن كل العناصر الجمالية التي من شأنها أن تزخرف العمل الإبداعي وتزيده جمالية، فلأهم وبكل بساطة لم يحتاجوا إلى وسائل إخراجية أخرى، تزيد من حدث الأحداث وقوتها، بل فرض الواقع نفسه بالقوة، وبهذا لم يجد سوى الكاميرا لتصوره بأحداثه المرّة مجسدة في فلمنا فجر المعذبين.

فهكذا أراد الثوار أن تكون سينماهم صادقة في تعبيرها ومكوناتها، مثل ما يحتوي عليه الفيلم من أحداث حقيقية جرت على أرض الواقع في عدة دول مستعمرة كلها إفريقية، لذلك ارتبطت ولادة السينما الثورية بولادة الثورة نفســـها والذين فجروا الثورة، فكانوا على يقين تام بأنها هي الحل الأول والنهائي، لتغيير واقع كان يفترض أن يكون واقعهم الحر، ولكنهم لم يفكروا لحظتها في الإبداع والفنّ بل كان تفجيرهم لمسار السينما خطوة موازية للتغيير اتجاه السينما الاستعمارية التي على الرغم من معرفتها لهذا الفنّ إلا أنهال عمدت على توجيهه في خدمة سياستها، وفي المقابل وعلى الرغم من عدم معرفة هؤلاء الثوار لعمق هذا الفنّ والاطلاع عليه إلا أنهم وضعوا السينما في طريقها الصحيح واستعملوها علامة للكشف عن الحقائق ووصف معاناة الشعوب الإفريقية المضطهدة من طرف الدول المستعمرة، ويأتي هذا التوظيف السينمائي ليعطي الثورة بعدا قوميا وعالميا، تبرز ملامح التكامل بين السينما والثورة من خلال التأسيس للعمل المسلح بوصفه إستراتيجية رسمها الحزب وتنظيمات

وجيوش الدول المستعمرة، وبالتالي يأتي دور السينما لتنقل تلك الإستراتيجية، كمنطق لعملها الأساسي وهو الإعلام.

ويعتبر ظهور السينما الثورية من بين المحطات التي أفرزتها حرب التحرير لأنها أنجبت رجالا لم يكونوا، في الأصل على موعد مع الفنّ، ولا مع الإبداع، ولكنهم كانوا على موعد مع الجهاد الذي جمعهم بالفنّ والسينما، فالحياة علمتهم كيف يتعاملون مع الشدائد والصعاب، وهي تجربة فرضها الاستعمار بالقوة، لذلك لم يكن لدى الثوار خيار سوى المواجهة معه واتخاذ الكفاح المسلح والسينما وسيلتين لطرده، على الرغم من قلة الخبرة والاختصاص سواء كان هذا في الحرب أو في السينما.)راشدي, 1965(

وبفضل هؤلاء وإنجازاتهم كفيلم فجر المعذبين وغيره من الأفلام، استطاعت القضية الجزائرية وقضية الدول الإفريقية، بإعلامها السينمائي أن تهز مشاعر العالم وتصل القضية الجزائرية والإفريقية إلى مكاتب الحكام والرؤساء والملوك في أنحاء العالم، حتى صارت معروفة في كل أرجاء المعمورة.

4.3 التوثيق للثورة من خلال الأرشيف المرئي:

وثق الفيلم عن الثورة في الجزائر وفي الدول الإفريقية وكل الانتهاكات التي ارتكبها المستعمرين ضد المواطنين العزل، من خلال التعبير عن الواقع الذي لا يمكن أن يكون صادقا إلا إذا عاشه الإنسان بكل مشاعره وجوارحه، لذلك يعمل الفيلم على إيجاد رابطة قوية من خلال البوح عن آلام ومعاناة الشعوب المقهورة بكل حرية، ولما كانت الثورة هي الميدان الحقيقي للأحداث، فإن إعادة عرضها عبر شاشات السينما والذي زاد من قوتها وتعلق الكثير بها، نظرا لما حملته من صدق ونبل والتزام، ويعود الفضل إلى هؤلاء الذين ضحوا بأنفسهم وهم يحملون الكاميرا على أكتافهم، ومن ثم اتسعت أعمالهم في إنتاج العديد من الأفلام الوثائقية التي تعرض وقائع حقيقية.

وبفضل جهود هؤلاء جاءت أعمالهم معبرة في عمقها الدلالي عن معاناتهم الثورية، حيث يقود التصوير إلى مجموعة من المناظر واللوحات التي تعرض أهم البطولات والمواقف الإنسانية،

حيث يهدف الفيلم الوثائقي فجر المعذبين إلى توثيق الثورة من معارك وشخصيات بطولية، وحتى تبقى الثورة في الضمائر والنفوس، إذ حاول المصورون والمجاهدون السينمائيون ترك بصمات مرئية، تكون فيما بعد ميراثا للأجيال اللاحقة، لذا أولت أهمية كبرى للأفلام الوثائقية التي كان غرضها الإعلام والتشهير بالقضية الجزائرية وقضايا الدول الإفريقية، ما أهلها أن تكون مرجعا مهما من المراجع الرسمية في تاريخ الثورة التحريرية.)راشدي, 1965(

5.3 توظيف الشعوب الإفريقية في الحروب في فيديوهات موثقة:

قامت فرنسا وحلفائها بتجنيد الشباب من دول إفريقيا في الجيش الفرنسي سواء في الخدمة الوطنية إجباريا، أو الانضمام في الجيش مكرهين من خلال تجويعهم وعمليات القتل الذي يتعرضون لها، فما كان على المواطنين إلى الالتحاق بصفوف الجيش الفرنسي والأوروبي، خشية القتل أو الموت جوعا، فقامت فرنسا بتغيير لباسهم العربي والإفريقي، بلباس غربي مختلف عن لباس الجيش الفرنسي في الشكل واللون، ودربتهم على حمل السلاح والقتال به، ثم أخذتهم إلى جبهات القتال خارج حدودهم الوطنية، وهذا في الحرب العالمية أين أصبحوا وقود لتلك الحرب والقليل منهم من نجى من تلك الحروب التي استعملت فيها شتى أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة، وأيضا القنابل والصواريخ التي كانت تدوي في أرض المعركة، لا لشيء يخصهم، إلا أن فرنسا أجبرتهم على خوض هذه الحروب.)راشدي, 1965(

6.3 سياسة القتل والتهجير التي انتهجها الاستعمار بالتوثيق المرئي:

تعد سياسة القتل التي نراها في الفيلم واحدة من بين الحقائق الموجودة في الأرشيف وفي الذاكرة الشعبية، فهذه الطريقة البشعة التي كان يقوم بها المستعمر في دول إفريقيا وفي كل مستعمراته بغية الردع والترهيب وحبه للدماء ونشر الذعر لسكان المستعمرات التي كان يبسط يده عليها، والتي عرضها الفيلم من خلال الصورة والصوت فكانت طرق القتل شنيعة وبشعة، فكان القتل بالرصاص في فيديوهات حقيقية عرضت في الفيلم تظهر إخراج القوات المسلحة الاستعمارية للمواطنين من بيوتهم وإعدامهم رفقة الأطفال والنساء، وهذه الاعتداءات والإعدامات جرت في كل دول إفريقيا موثقة في صور فوتوغرافية وفيديوهات، فكل صورة وفيديو يحمل قصة مؤثرة تحتوي على جريمة مثل الرجل في الطريق وهو أعزل لا يحمل سلاح تم إعدامه بالرصاص، وعملية إعدام أخرى لرجل تم إخراجه من بيته عنوة ليتلقى رصاصات من جندي أردته قتيل، وفيديو آخر مؤثر جدا يظهر عملية قتل وحشية تمثلت في حرق رجل وهو حي بالنار وترك يتخبط ليلقى حتفه، وحتى الإعدامات الجماعية حاضرة في الفيلم الوثائقي، أين تظهر عمليات الإعدام عن طريق الشنق لمجموعة من المواطنين، وكذلك الإعدام عن طريق دفن الأشخاص وهم أحياء دون استثناء الأطفال والنساء في حادثة لم تهز الإنسانية لدى الدول المستعمرة لهذه الشعوب المظلومة والمعتدى عليها من قبلهم.)راشدي, 1965(

7.3 نهب خيرات الدول الإفريقية المستعمرة الموثقة في الأرشيف المرئي:

لقد تم نهب خيرات الدول الإفريقية تحت وطأة الاستعمار الفرنسي والدول الغربية الحليفة، بحيث نرى في مقاطع عديدة يحتوي عليها الفيلم، بداية من نهب الذهب والألماس الذي وثق في الفيلم وهو يستخرج ويشحن عن طريق البحر، والعمال هم أصحاب الأرض الذين فرضت عليهم الطاعة بأساليب ردعية مختلفة، ولن يذهب

الأمر هنا فقط بل ذهب إلى أبعد من ذلك، حتى الحديد لم يسلم من عملية النهب والتصدير عبر السفن الكبرى والتي بدورها تنقله إلى عدة بلدان أوروبية، وهذا ما تظهره كاميرا المصور الذي عايشة تلك الحقبة الزمنية، وهناك نصيب ليس بالهين من عملية النهب التي تعرضت لها الدول الإفريقية ، ألا وهو البترول الذي كان يصدر نحو أروبا بكثرة، وحتى الخضـــر والفواكه كانت تأخذ من الجزائر ومن الدول الإفريقية ، هي والقمح والشـــعير، فقارة إفريقيا الغنية بمواردها الطبيعية كانت بمثابة الشـريان الحيوي بالنسـبة لتلك الدول المغتصـبة التي كانت تعاني الفقر، حتى تغير وضعها بعد استعمار الدول الإفريقية ونهب خيراتها.)راشدي, 1965(

8.3 النضال الموثق في الفيلم:

تعد هذه الوقائع المصـورة في الفيلم الوثائقي بمثابة الشـاهد الحي على نضـال الشـعب الجزائري والشـعوب الإفريقية ، بحيث تظهر الاحتجاجات والمسيرات المناهضـة للاحتلال الغربي على دولهم التي تعاني من ويلاته، فقدم الفيلم صور حية عن ثورة الشعب على المستعمر والمطالبة بالاستقلال من خلال ما صوره لنا المصورون، والأفلام الوثائقية القصـيرة التي عرضـت في الفيلم، من قلب الحدث أين قامت الشـعوب المسـتعمرة بالمطالبة بالاستقلال وتقرير المصير والتحرر من الظلم والاستعمار، في مسيرات ضـخمة سلمية كالتي حدثت في قالمة وخراطة وسـطيف وغيرها من المدن الجزائرية مناهضـة للاسـتعمار، ومطالبة بالاسـتقلال والتحرر من العبودية والاسـتعمار، والتي شـارك فيها كل الجزائريين نسـاء ورجال وشـيوخ وشـباب وحتى الأطفال، خرجوا خرجة رجل واحد وتكاتفوا على إيصـال رسـالة مفادها رفض العيش تحت سـلطة المسـتعمر الطاغي، كما أظهر الفيلم عدة فيديوهات من دول إفريقية كغانا وغيرها من الدول التي طالبت بالاستقلال في مسيرات ضخمة هي الأخرى منددة بالظلم والتجبر والطغيان والاستعمار مطالبة بفك القيود عليها وإعطائها الاستقلال لتهنأ بعيش كريم حرة مستقلة.)راشدي, 1965(

9.3 الكفاح المسلح الحقيقي المسجل:

إن الأفلام الوثائقية القصـــيرة ضـــمن الفيلم تظهر مدى كفاح شـــعوب الدول الإفريقية ، كالجزائر وتونس والمغرب وغانا وغيرها من الدول المسـتعمرة والتي بدورها قامت بعدة ثورات ضـد الدول المسـتعمرة لها، كفرنسـا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال وغيرها ممن ساهمت في عملية استعمار الدول الإفريقية ، حيث كونت جيوش منظمة واتخذت من الجبال قواعد وملاجئ لها بحيث كونت نفسـها وتدربت على الأسـلحة ثم قامت بعدة هجمات ضـد المستعمر، وهذه الهجمات بعضها موثقة في فيديوهات وثائقية حقيقية كالتي تظهر في الفيلم، وهذا في كل الدول الإفريقية التي ناهضـت الاسـتعمار واختارت الكفاح المسـلح كحل نهائي، لحل مشـكلة الاسـتعمار والتحرر منه

إلى الأبد، عبر معارك نارية وضفت فيها أسلحة خفيفة وثقيلة ما كبدت العدو خسائر فادحة، وهذا ما فتح المجال لعدة دول إفريقية في اتباع نهج الدول التي تحارب المستعمر.)راشدي, 1965(

حيث قامت عدة دول بحروب مع المستعمر ونالت على إثرها الاستقلال، كدولة الجزائر التي خاضت حربا ضروسا راح على إثرها مليون ونصف المليون شهيد في سبيل الله والوطن.

4 جملة النتائج والتوصيات:

- من جملة النتائج والتوصيات التي خرجنا بها في هذه الدراسة، هي أن المادة الفيلمية الموظفة في السينما الثورية هي مادة حية، كما اعتمد المشتغلين على السينما الثورية، على مادة حية متمثلة في الأرشيف المكتوب والمصور.
- اعتماد الفيلم الوثائقي على مختلف الحقائق والوثائق الأرشيفية الموثقة والتي التقطت بالكاميرا من الواقع عن أحداث حية جرت مباشرة أمام عدسة الكاميرا
- يعرض الفيلم الوثائقي الحقيقة والواقع كما هو بعيدا عن الزيف وفبركة الأحداث
- توثيق وقائع الثورة التحريرية والتأريخ لها عن طريق الفيلم الوثائقي.
- الدعاية والترويج الإعلامي للأحداث الدامية والاعتداءات الشنيعة في حق الشعوب الإفريقية والشعب الجزائري
- إيصال صوت إفريقيا والجزائر الجريحتان إلى الرأي العام العالمي خارج حدودهما الإقليمية
- نقل التاريخ والحقيقة المرة مباشرة من مسرح الجريمة التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري
- المحافظة على الدلائل التي تدين المستعمر الفرنسي الغاشم الذي أباد نصف الشعب الجزائري
- هو الدعاية الإعلامية من أجل التعريف بالقضية الجزائرية وقضايا الدول الإفريقية
- نهب خيرات الدول الإفريقية تحت وطأة الاستعمار الفرنسي والدول الغربية الحليفة، بحيث نرى في مقاطع عديدة يحتوي عليها الفيلم
- نضال الشعب الجزائري والشعوب الإفريقية، بحيث تظهر الاحتجاجات والمسيرات المناهضة للاحتلال الغربي على دولهم التي تعاني من ويلاته
- كفاح شعوب الدول الافريقية، كالجزائر وغيرها من الدول المستعمرة والتي بدورها قامت بعدة ثورات ضد الدول المستعمرة لها

الإحالات:

1 ينظر، بن عزوزي عبد الله، الخصائص الفنية لسيناريو الفيلم الثوري في السينما الجزائرية، أطروحة دكتوراه، قسم الفنون، جامعة وهران 1، 2017-2018، ص 138.
2 ينظر، بن عزوزي عبد الله، الخصائص الفنية لسيناريو الفيلم الثوري في السينما الجزائرية، م س، ص 89، ص 90.
3 ينظر، بن عزوزي عبد الله، الخصائص الفنية لسيناريو الفيلم الثوري في السينما الجزائرية، م س، ص 91.
4 ينظر، عز الدين عطية المصري، الدراما التلفزيونية مقوماتها وضوابطها الفنية، رسالة ماجيستير، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين،2010، ص394، ص395
5 إسلام علي عز العرب، تحليل الخطاب السينمائي عند يوسف شاهين في ضوء علم الفولكلور، مجلة العمارة و الفنون، العدد11، الجزء02،ص07
6 ينظر، أشرف شتيوي، السينما بين الصناعة والثقافة، دراسة نقدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2008، ص08
7 باري هامب، ترجمة ناصر ونوس، صناعة الأفلام الوثائقية، دليل عملي للتخطيط والتصوير والمونتاج، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، ط1، 2011، ص 240
8 8- أيمن عبد الحليم نصار، إعداد البرامج الوثائقية، مراجعة محمد جاسم فلحي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2007، ص 14.
9 9- ينظر، بن عزوزي عبد الله، الخصائص الفنية لسيناريو الفيلم الثوري في السينما الجزائرية، م س، ص 32، ص 33.
10 10- بغداد أحمد بلية، فضاءات السينما الجزائرية نظرة بانورامية على تاريخ السينما في الجزائر، منشورات ليجوند، د ط، 2011، ص 7
11 ينظر، بن عزوزي عبد الله، الخصائص الفنية لسيناريو الفيلم الثوري في السينما الجزائرية، م س، ص 37.
12 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
13 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
14 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
15 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
16 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
17 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
18 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
19 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
20 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
21 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
22 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M
23 فيلم فجر المعذبين، إخراج أحمد راشدي، إنتاج المركز الوطني للسينما الجزائرية، 1965 https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M

قائمة المراجع

المؤلفات:

أشرف شتيوي. (2008). السينما بين الصناعة والثقافة، دراسة نقدية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
أيمن عبد الحليم نصار. (2007). إعداد البرامج الوثائقية. (محمد جاسم فلحي، المحرر) عمان، الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.
باري هامب. (2011). صناعة الأفلام الوثائقية، دليل عملي للتخطيط والتصوير والمونتاج (المجلد 1). (ناصر ونوس، المترجمون) أبو ضبي: هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث.
بغداد أحمد بلية. (2011). فضاءات السينما الجزائرية نظرة بانورامية على تاريخ السينما في الجزائر (المجلد ط1). الجزائر، الجزائر: منشورات دار ليجوند.

الأطروحات:

عبد الله بن عزوزي. (جوان, 2017-2018). أطروحة دكتوراه. الخصائص الفنية لسيناريو الفيلم الثوري في السينما الجزائرية. وهران، قسم الفنون، الجزائر: جامعة وهران.
عز الدين, ع. ا .(2010) .رسالة ماجستير .الدراما التلفزيونية مقوماتها وضوابطها الفنية .غزة, كلية الآداب, فلسطين: الجامعة الإسلامية

المقالات

.عز العرب, إ ,2018) .يوليو .(تحليل الخطاب السينمائي عند يوسف شاهين في ضوء علم الفلكلور .*مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية*.07 ,*11* ,

مادة فيلمية

.راشدي, أ (Réalisateur). (1965). *فجر المعذبين* [Film]. Récupéré sur https://www.youtube.com/watch?v=SJmCK4fDC0M